قنبلة بالبارود لا بالماء المقطَّر(١)

حيَّاكم الله يا شباب الجامعة المصريَّة ؛ لقد كتبتم الكلمات الَّتي يصرخ منها الشَّياطين .

كلماتٌ لو انتسبن لانتسبت كلُّ واحدةٍ منهنَّ إلى آيةٍ ممَّا نزل به الوحي في كتاب الله .

فطلبُ تعليم الدِّين لشباب الجامعة ينتمي إلى هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وطلبُ الفصل بين الشُّبَّان ، والفتيات يرجع إلى هذه الآية : ﴿ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

وطلب إيجاد المثل الأخلاقيِّ لهذه الأمَّة من شبابها المتعلِّم هو معنى الآية : ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الجاثية : ٢٠] .

قوَّة الأخلاق يا شباب ! قوَّة الأخلاق ، إنَّ الخطوة المتقدِّمة تبدأ من هنا .

* * *

حيَّاكم الله يا شباب الجامعة ! لقد كتبتم الكلمات الَّتي يصفِّق لها العالم الإسلامي كلُّه .

كلماتٌ ليس فيها شيءٌ جديدٌ على الإسلام ، ولكن كلُّ جديدٍ على المسلمين لا يوجد إلا فيها .

---

(١) رفع طلبة الكلِّيات في الجامعة المصريّة إلى مديرها ، وعمدائها ، وأساتذتها طلباً يلتمسون فيه إدخال التَّعليم الدِّيني في الجامعة والفصل بين الشُّبَّان والفتيات ، إذ « لا إصلاح إلا بعد إصلاح روح الشَّباب النَّاهض ، حتَّى يكون له من قوَّةِ روحه ، وسموِّ أخلاقه سلاحٌ يحارب به الرَّذيلة ، وينصر به الفضيلة » . قالوا : « ولا شَكَّ : أنَّ الأمَّة بأسرها قد أحسَّت بنقص النَّاحية الدِّينية في المجتمع المصري ، ونقص أخلاق الفرد ، ووطنيَّته تباعاً » .

قلت : وكان ذلك في مارس سنة (١٩٣٧) . (ع) .

كلمات القوَّة الرُّوحيَّة الَّتي تريد أن تقود التَّاريخ مرَّةً أخرى بقوى النَّصر ، لا بعوامل الهزيمة .

كلمات الشَّباب الطَّاهر ؛ الَّذي هو حركة الرُّقيِّ في الأمَّة كلِّها ، فسيكون منها المحرِّك للأمَّة كلِّها .

كلماتٌ ليست قوانين ، ولكنَّها ستكون هي السَّبب في إصلاح القوانين .

قوَّة الأخلاق يا شباب ! قوَّة الأخلاق ، إنَّ الخطوة المتقدِّمة تبدأ من هنا .

* * *

يريد الشباب مع حقيقة العلم حقيقة الدِّين ، فإنَّ العلم لا يعلم الصَّبر ، ولا الصِّدق ، ولا الذِّمَّة .

يريدون قوَّة النَّفس مع قوَّة العقل ، فإنَّ القانون الأدبيَّ في الشَّعب لا يضعه العقل وحده ، ولا ينفذه وحده .

يريدون قوَّة العقيدة ، حتَّى إذا لم ينفعهم في بعض شدائد الحياة ما تعلَّموه ؛ نفعهم ما اعتقدوه .

يريدون السُّموَّ الدِّينيَّ ؛ لأنَّ فكرة إدراك الشَّهوات بمعناها هي فكرة إدراك الواجبات بغير معناها .

يريدون الشَّباب السَّامي الطَّاهر من الجنسين ، كي تولد الأمَّة الجديدة ساميةً طاهرةً .

قوَّة الأخلاق يا شباب ! قوَّة الأخلاق ؛ إنَّ الخطوة المتقدِّمة تبدأ من هنا .

* * *

أحسَّ الشَّباب : أنَّهم يفقدون من قوَّة المناعة الرُّوحيَّة بقدر ما أهملوا من الدِّين .

وما هي الفضائل إلا قوَّة المناعة عن أضدادها ؟ فالصِّدق مناعةٌ من الكذب ، والشَّرف مناعةٌ من الخسَّة .

والشَّباب المثقل بفروض القوَّة هو القوَّة نفسها : وهل الدِّين إلا فروض القوَّة على النَّفس ؟

وشباب الشَّهوات شبابٌ مفلسٌ من رأس ماله الاجتماعيِّ ، ينفق دائماً ، ولا يكسب أبداً !

والمدارس تخرِّج شبَّانها إلى الحياة ، فتسألهم الحياة : ماذا تعوَّدتم ؟ لا : ماذا تعلَّمتم ؟ .

قوَّة الأخلاق يا شباب ! قوَّة الأخلاق ؛ إنَّ الخطوة المتقدِّمة تبدأ من هنا .

* * *

وأحسَّ الشَّباب معنى كثرة الفتيات في الجامعة ، وأدركوا معنى هذه الرِّقَّة الَّتي خلقتها الحكمة الخالقة .

والمرأة أداة استمالةٍ بالطَّبيعة ؛ تعمل بغير ما تعمله بالإرادة ؛ لأنَّ رؤيتها أوَّل عملها .

نعم إنَّ المغناطيس لا يتحرك حين يَجذب ، ولكن الحديد يتحرَّك له حين ينجذب .

ومتى فهم أحدُ الجنسين الجنس الآخر ؛ فهمه بإدراكين لا بإدراكٍ واحدٍ !

وجمالُ المرأة إذا انتهى إلى قلب الرَّجل ، وجمالُ الرَّجل إذا استقرَّ في قلب المرأة . . .

. . . هما حينئذٍ معنيان ، ولكنَّهما على رغم أنف العلم معنيان متزوِّجان .

* * *

لا ، لا ؛ يا رجال الجامعة ! إن كان هناك شيءٌ اسمه حرِّيَّة الفكر ؛ فليس هناك شيءٌ اسمه حرِّيَّة الأخلاق .

وتقولون : أوربة ، وتقليد أوربة ! ونحن نريدُ الشَّباب الَّذين يعملون لاستقلالنا لا لخضوعنا لأوربة .

وتقولون : إنَّ الجامعات ليست محل الدِّين ، ومن الذي يجهل أنَّها بهذا صارت محلاً لفوضى الأخلاق .

وتزعمون : أنَّ الشَّبابَ تعلَّموا ما يكفي من الدِّين في المدارس الابتدائيَّة ، والثَّانويَّة ، فلا حاجةَ إليه في الجامعة !

أفترون الإسلام دروساً ابتدائيَّةً ، وثانويَّةً فقط ، أم تريدونه شجرةً تُغرس هناك لتُقلع عندكم .

لا ، لا ، يا رجال الجامعة! إنَّ قنبلة الشَّباب المجاهد تُملأُ بالبارود لا بالماء المقطَّر .

* * *

إنَّ الشَّباب مخلوقون لغير زمنكم ، فلا تفسدوا عليهم الحاسَّة الاجتماعيَّة الَّتي يحسُّون بها زمنهم .

لا تجعلوهم عبيدَ آرائكم وهم شبابُ الاستقلال ؛ إنَّهم تلاميذكم ، ولكنَّهم أيضاً أساتذة الأمَّة .

لقد تكلَّم بلسانكم هذا البناء الصَّغير الَّذي (يسمَّى) الجامعة ، وتكلَّم بألسنتهم هذا البناء الكبير الَّذي يسمَّى (الوطن) .

أمَّا بناؤكم ، فمحدودٌ بالآراء ، والأحلام ، والأفكار ، وأمَّا الوطن ؛ فمحدودٌ بالمطامع ، والحوادث ، والحقائق .

لا ، لا ! إنَّ المسلمين الَّذين هَدَوا العالم ، قد هَدَوه ، بالرُّوح الدِّينيَّة الَّتي كانوا يعملون بها ، لا بأحلام الفلاسفة .

لا ، لا ! إنَّ الفضيلة فطرةٌ لا علمٌ ، وطبيعةٌ لا قانونٌ ، وعقيدةٌ لا فكرةٌ ، وأساسها أخلاق الدِّين ، لا آراء الكتب .

* * *

مَن هذا المتكلِّم يقول للأمَّة : « الجامعيُّون لن يقبلوا أن يدخل أحدٌ في شؤونهم مهما يكن أمره » ؟

أهذا صوتُ جرس المدينة لأطفال المدرسةِ يَرِنُّ . . . يَرِنُّ . . . فيجتمعون ، وينصاعون ؟

كلا يا رجل! ليس في الجامعة قالب يُصبُّ فيه المسلمون على قياسك الَّذي تريد .

إنَّ التَّعليم في الجاهليَّة بغير دينٍ يعصم الشَّخصيَّة هو تعليمُ الرَّذيلة تعليمها العالي .

﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[يونس : ٥٣] .

قوَّة الأخلاق يا شباب ! قوَّة الأخلاق . . . إنَّ الخطوة المتقدِّمة تبدأ من هنا .

* * *